وصية الله لعباده
ووصايا لقمان
الحكيم لابنه
تأليف الشيخ:
أبو بكر يوسف لعويسي
شبكة الامين السلفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا:

أما بعد :

هذه وصية الله لعباده أُتبعها بوصايا لقمان لابنه وهو يعظه ، وقد أخبرنا الله بها لما فيها من حكمٍ عظيمة ، أتاها الله تعالى لهذا العبد الصالح، وامتنّ بها عليه وأنزل فيها قرآنا يتلى في الصلوات ، والمحاريب ، ويُذكّر بها في الدروس والمواعظ ،والمحافل والمساجد إلى يوم القيامة ، وما ذكرها الله تعالى في كتابه إلا لتكون نبراسا يحتذى به ، ومنهاجا للحياة الإيمانية السعيدة المطمئنة ، والله عز وجل لايرفع من شأن شيء إلا بقدر قيمته ، كيف لا وقد قال سبحانه في ذلك }} : يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ (269) {{

سورة البقرة.

فقد أَتى اللهُ لقمانَ الحكمة ، وبها أُوتي الخيرَ الكثير ، قال تعالى }}: ولقد ءَاتينا لُقمانَ الحِكمةَ أَنِ اشكُر لله ، ومن يشكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ الله غنّى حميد{{فهل شكر لقمانُ اللهَ على هذه النعمة العظيمة ؟

والجواب نعم قد فعل ، وها هو يصرف هذه النعمة ويضعها موضعها الصحيح الذي كانت من أجله ، في وصايا وقواعد ليس لابنه فحسب بل لأجيال وأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهل استفادت تلك الأجيال المتعاقبة منها ؟؟

للأسف الشديد لم يستفد منها إلا القليل الذين استفادوا من نعمة الإيمان فشكروا الله تعالى على تلك النعمة وقد بينه تعالى بقوله }}: يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون }}{{وما أكثر النّاس ولو حصرت بمؤمنين }}{{وقليل من عبادي الشكور {{ومن هنا جاءت وصية الله سبحانه وتعالى للأولين والآخرين بقوله }} :

..وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (131) {سورة

النساء .فوصية الله تعالى بالتقوى ، وهي كلمة جامعة لخيري الدنيا والآخرة ، فمن أخذ بهذه الوصية العظيمة الجامعة[[تقوى الله]] وشكر الله تعالى عليها ،حصل له من العلم والحكمة الخير الكثير ، قال تعالى }} : واتقوا الله ويعلمكم الله .{{

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في هذه الآية من تفسيره [ج١/٢٢٤] أن تقوى الله وسيلة إلى حصول العلم ، وأوضح من هذا قوله تعالى }}: يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا {{أي علما تفرقون به بين الحقائق ، والحق والباطل .

والوصية في اللسان العربي : هي الأمر ، فقوله تعالى : ﴿ ﴾ ووصينا الإنسان ﴿ ﴾أي أمرناه ،والوصية أيضا بمعنى الوصل ،لأنه وصل ما كان له في حياته بما بعد موته ، أفاده شيخي عليالهندي في رالته اللطيفة : المذكرات الجلية بتصرف سير.

وشرعا قال : تطلق على ما يقع به الزجر عن المنهيات والحث على المأمورات .فتح الباري [ج٥/ ٣٥٥.]

والوصية هي الإرشاد بالحكمة إلى الحكمة ،وبالخير إلى الخير والبر ، واتقاء الشر والضر ، والتربية على الفضائل ،والترفع عن الرذائل ، وقد تكون دينية أو دنيوية ، كما تكون في الحياة أو عند حضور الأجل ، فالآباء يوصون أبنائهم ويربونهم على الأخلاق الفاضلة ، في حياتهم وعند حضور آجالهم ، والعلماء والمربون الربانيون يوصون طلابهم بالعلم وآداب الطلب والتحصيل كذلك ،على منهاج النبوة ، وأصدق ما وصى به موصٍ ونصح به ناصحٌ ما كانت وصيته ونصيحته عند حضور أجله..

والوصية أنواع :

- 1وصية الميراث :وحكمها معلوم في الشرع ، وقد حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله " :ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته عنده مكتوبة "رواه البخاري ومسلم.

- 2وصية النصح وإرادة الخير للوصي :وهي ظاهرة عامة خصوصا عند دنو الأجل ؛ وقد كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة :

"الصلاة وما ملكت أيمانكم"صحيح الجامع [٣٧٦٧ [وقوله ":استوصوا بالنساء خيرا . . " متفق عليه وأورد أصحاب الحديث والسير وصايا بعض الأنبياء وغيرهم تختلف باختلاف المواقف والظروف، وفي بعضها نصح للأهل والولد أو لسائر الناس.

-وصية الاستخلاف :قال تعالى{{ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (132) {{سورة البقرة ﴾ .وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر بعد موته ،كما أوصى أبو بكر إلى عمر وأوصى عمر أن تكون في الستة الذين توسم فيهم الأفضلية والكفاءة رضي الله عن الصحابة أجمعين

فما هي وصايا لقمان:

الوصية الأولى{{ :_وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لاتشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم {{لقمان :[١٣.]

في هذا الوصية من الفوائد:

- 1مشروعية وصية الوالد لابنه بما ينعفه ويصحح معتقده . .ويؤخذ منها مشروعية وصية الشيخ المعلم لتلميذه بذلك ، فإن المعلم بمنزلة الأب ،وإن حاجة الطالب إلى أبوة العلم أشد من حاجته إلى أبوة النسب ، فكيف إذا اجتمعت هاتين الخصلتين في الوالد فكان هو المربي وهو الشيخ وهو المعلم ، فبعدها لاتسأل...

– 2مخاطبة المُوصي لوصيه بألطف العبارة ، وأرق الألفاظ لتكون ادعى للقبول وأجدى نفعا ..

– 3البداءة بالأهم فالمهم ، وأهم شيء يوصي به الأب المربي والشيخ المعلم ولده هو العلم بالله تعالى ، وإفراده بالعبادة ، إذ عليها النجاة والخسران يوم القيامة.

– 4التحذير من الشرك بالله تعالى بجميع أنواعه بتَعَلُمه ، ليس لذاته وإنما لتوقيه حتى لا يقع فيه ، لأنه إذا وقع فيه وقع في أعظم الظلم.

– 5تشير الوصية أن الشرك من أعظم الظلم فوجب الحذر منه ، واجتنابه والتحذير منه .

– 6في الآية بيان لفهم الصحابة الذين فهموا الظلم على غير وجهه ، فلما نزل قول الله تعالى }} : الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون {{ شق ذلك عليهم ، وقالوا أينا لم يظلم نفسه ؟ ففهموا أن الظلم عام ، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم >> : ليس ذلك ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه : يا بني لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم .<<

– 7على المُتربي والوَصي أن يبحث عن رفع المشقة عن نفسه ، وأن يسأل عن ذلك أهل الاختصاص ، حتى يرتاح باله وتطمئن نفسه}} فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون {{وذلك ما فعله الصحابة لما أشكل عليهم .

– 8ينبغي على الوالد المربي والشيخ المعلم أن يبين اللبس والإشكال الذي يحصل لولده ووصيه ، برد المتشابه إلى المحكم ،وقد بين لهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

– 9بيان أن من حقق التوحيد جاء آمنا يوم القيامة حتى لو كان عنده بعض الظلم ، فقول الصحابة رضوان الله عليهم أينا لم يظلم نفسه ؟ ورد النبي عليهم بأنه ليس

ذلك الظلم

الذي فهموه ، وإنما هو الشرك ، أما غيره من الظلم حتى لو حصل من العبد فهو آمن يوم القيامة مادام لم يشرك بالله شيئا ، وبيان ذلك الآية المذكورة آنفا، وجاء في الحديث القدسي قال الله تعالى >>: قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثملقيتنيلاتشركبيشيئا لأتيتك بقرابها مغفرة <<صحيح الترمذي للألباني]ح ٣٥٤٠] وفي السلسلة الصحيحة.[127]

وهذا لا يعني إطلاقا أنه لايضر مع الإيمان ذنب ، فلو كان الأمر كذلك ماجاء في باقي الوصايا بالنهي عن تلك المعاصي الكبيرة التي تخدش في إيمان العبد ولا تبطله . وتطهير العبد من ذنوبه التي أصابها بدخوله النار لاينافي عدم الأمن لأن هذا تكفير وتطهير حتى يناسب دار الكرامة الطاهرة.

الوصية الثانية : البر بالوالدين والإحسان إليهما في المعروف وبالمعروف.

قال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (١٤) سورة لقمان.

هذه الوصية الثانية من وصايا العبد الصالح لقمان لابنه وهو يعظه ، وقد ثمنها الله تعالى في كتابه ، وجعلها تتلى إلى يوم القيامة ، وما ذلك إلا لعظم شأنها حتى تبقى ركنا قائما في قاموس وصايا التعامل في البناء التربوي العائلي ، يوصي بها الأباء الأبناء جيلا بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فإن تقدير الوالدين وتوقيرهما والبر بهما مستقر في الفطر تحكمه العاطفة الغريزية التي أودعها الله في نفس الأولاد للأباء، وإن كانت عاطفة الأباء وحبهم للأبناء أكثر بكثير، ولا يعرف هذا الحب وتلك العاطفة الجامحة عند الأباء لأبنائهم إلا من رزقه الله الأولاد ورأى فلذة كبده تذب أمامه على الأرض فكل مولود يجد في نفسه ذلك لوالديه ، ولكن يمكن أن تنحرف به الفطرة بسب عوامل خارجية ، وتسلط الشيطان على بني آدم ، ولا يستيقظ إلا إذا أصبح هو والدا له أولاد، فلا يعرف قيمة الوالدين إلا من رزق

بنعمة الأولاد .

وإن لقمان الحكيم ، ذاق طعم هذه العاطفة والمحبة الأبوية ، وعرف قدرها فأراد أن يتركها وصية في عقبه لولده ، وهكذا لولده من بعده . .وهكذا قبلها الله تعالى وأكدها وأنزلها في كتابه ، كيف لا تكون بهذه المكانة من الأهمية وقد قرنها سبحانه بإفراده بتوحيده في عبادته.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية : . . ثم قرن وصيته إياه بعبادة الله وحده بالبر بالوالدين لعظم حقهما ، فالأم حملت ولدها بمشقة والأب تكفل بالانفاق ، فاستحقا من الولد الشكر}. حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ.{

وجعل الله ذلك الشكر من أحب الأعمال إليه فعن أبي عمرو الشيباني قال : حدثنا صاحب هذه الدار – وأومأ بيده إلى دار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿ ﴾ سألت النبي صلى الله عليه وسلم :أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟قال >> :الصلاة على وقتها <<قلت : ثم أي؟ قال >>: ثم بر الوالدين

{{.. <<متفق عليه .

وقد بين الله تعالى تلك الوصية المبهمة}}: وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ {{وبقوله تعالى :

﴿ ﴿ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ ﴾ (١٥) سورة الأحقاف .

قال البغوي رحمه في تفسيره :أي برا بهما وعطفا عليهما ، معناه ووصينا الانسان أن يفعل بوالديه ما يحَسن.

وقد أمر الله تعالى بهذه الإحسان فقال : ﴿ ﴿ ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٢٣) سورة الإسراء {{ الاسراء.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة : أي أحسنوا إليهما ، بجميع وجوه الإحسان ، القولي والفعلي ، لأنهما سبب وجود العبد ،ولهما من المحبة للولد ، والإحسان إليه ، والقرب ، ما يقضي تأكد الحق ووجوب البر .[ج٣/ ١٠٣]

قلت : بل يفعل بهما ولهما الأحسن ، ولايقدم عليهما ما يستحسنه لنفسه لأن قوله

صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه >>: ثم بر الوالدين <<مفهومه الإتساع في الإحسان إليهما وصلتهما وأداء حقوقهما ، وهذا معنى البر فإنها كلمة كبيرة واسعة المعنى . كإتساع رضا الله فإنه يشمل الرضا بجميع الأعمال الصالحة ، ومن أعظمها بر الوالدين ، لذلكم قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما >>: رضا الرب في رضا الوالدين ، وسخط الرب في سخط الوالدين <<حديث حسن موقوف ، وصح مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم انظر له السلسلة الصحيحة [ح٥١٥.]

ومن تمام رضا الرب عن العبد شكره لله تعالى وللوالدين ، اشكر العظيم على هذه النعمة العظيمة أن الله جعله في رعاية والديه من حين الحمل والوهن المصاحب له، إلى وقت الولادة مع الكره الذي تجده الأم ، إلى فصاله وفصامه في عامين ، إلى الرعاية به وحبه والعطف والحنان عليه حتى اشتد عضده وأصبح عضوا صالحا في المجتمع ،وذلك في قوله سبحانه} }}: وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ

سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥ (سورة الأحقاف .{{المقصود بالكره في الآية هو المشقة التي تجدها الأم في الحمل ، وليس الكره بمعنى البغض والنفر من الشيء، فإن المرأة مجبولة على حب الحمل والإنجاب، ولو كان فيه من الوهن والمشقة ما فيه ، وإذا أردت أن تعرف ذلك فاسأل بعض من لم يرزقهم الله الأولاد كيف لفهم وولعهم على فقدان تلك النعمة .

واعلموا – جعلني الله وإياكم من أوعية العلم – أن الله كما أمر بالبر بهما بكل أنواعه ، نهى عن العقوق لهما بكل أشكاله وصوره ،فرتب النهي بدءا بأصغر ما يؤذيهما ويسوء إليهما، ليدل على تحريم ما زاد عليه فقال : ﴿ ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ ﴾ فإذا كان العقوق حاصل بأدنى المراتب التي هي : ﴿ ﴿ فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ ﴾ كما في هذه الجملة من الآية وأنه من أكبر الكبائر كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور فكيف بما زاد على ذلك ؟؟؟ ممن يرفع يديه ليضربهما

أو يسبهما، أو يرميهما في دور العجزة، أو يهملهما أو يحرمهما دنيا كانا سببا في تنعمه بها ، اللهم عفوك ، اللهم عفوك.

وقد أوجب الله هذه الوصية وأمربها ، إلا في حالة واحدة وهي : أن يأمراك بمعصيته تعالى ، فحينئذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ومع عدم طاعتهما في المعصية ، وجب الإحسان إليهما في غيرها من المباحات ، ومصاحبتهما بالمعروف ، وهذا من عظمة هذا الدين وتعظيمه لحقوق الوالدين اللذين كانا سببا في وجود الولد.

فقال سبحانه وهو يوصي بذلك} : وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿(٨) سورة العنكبوت.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : أي إن حرصا عليك كل الحرص أن تتبعهما على دينهما ، فلا تقبل منهما ذلك ، ولا يمنع ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفا أي محسنا إليهما ، واتبع سبيل المؤمنين.

قلت : أي، إن أمراك بمعصية ، من تخل عن واجب أو تمذهب بمذاهب ، سواء كان مذهب كفري أو حزبي مبتدع كأن يأمراك بأن تتشيع أو أن تسلك سبيل الخوارج والتكفيرين ، والقدرية المجوس والمرجئة المميعين ، ومذهب العلومة والعلمانين ، والاشتراكية والرأس ماليين ، وغيرها مما يسمى بالثقافات الحضارية التقدمية التي تحارب الإسلام وتسعى إلى هدم قواعده ،أو أمراك بمعصية كمنعك من الصلاة ، أو الذهاب إلى المسجد ، أو تعلم المعلوم من الدين بالضرورة ، أو يلزماك بحضور وإقامة حفلات الزفاف المليئة بالمنكرات ، أو يجبراك على الدراسة والعمل في الاختلاط ، أو التبرج والسفور ، لأن بعض الأباء يعد ذلك تقدما ، ويعد الحجاب الشرعي تأخرا ورجعية ، فلا تتبعهما وصاحبهما في الدنيا بالمعروف المتعارف عليه شرعا أو عرفا مما لا يخالف شرع الله قال تعالى : ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥) سورة لقمان ، وقوله سبحانه :

﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ يعني مصاحبتهما في جميع أمور دنياك مما ليس فيه مخالفة ،وعلى امتداد دنياك أي حياتك.

ومن الإحسان إليهما في ذلك مناقشتهما بالتي هي أحسن للتي هي أقوم ، والصبر على ذلك وعدم التنازل عن شيء من دينك مما هو من الواجبات ، على خلاف المندوبات إذا كان ذلك يؤلف بينك وبينهما فلا حرج حنئذ ، على أن لا يستمر ذلك طويلا ويصبح عادة لهما يجدانه بابا للنتقيص من دينك شيئا فشيئا ،واسمع لهذه المناقشة والمحاورة الأدبية الرائعة}: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (41)إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤)يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (٤٥) سورة مريم ﴾ وفي آخرها قال له : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) {سورة مريم،

فانظروا –رحكم الله وإيانا – كم من مرة يكرر هذه اللفظة الرقيقة اللطيفة يستلطف بها شعور والده فيلين لها ويسمع لما وراءها : ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ أي أدب هذا وأي تلطف ذلكم في إقرار التوحيد وإفراد الله بالعبادة، ودعوة الوالد إلى ذلك وهو المشرك.

ويتكرر هذا الخلق الرفيع مع يوسف ،وأبيه وهو أدب الأنبياء ودأبهم عليه، فاسمع يا رعاك الله ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ، وبنفس اللطف والحنان والرقة يبادله أبوه الخطاب فيقول : ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٤– ٥) سورة يوسف. يالها من كلمة لطيفة رائعة ترفع من معنوات الابن وهو يسمعها من واليه ،فتنزل على قلبه كقطرات الندى لتبلله بحنان وعطف الأبوة ، فيطرب لها ويسعد بها ،فما أحوجنا لمثل هذه الآداب الرائعة مع أبائنا في النسب وآبائنا في العلم ،وأبناءنا كذلك .

واعلم أن كل ما ثبت للوالدين من الوصية بهما والإحسان إليهما فهو ثابت للعالم والمعلم لأنه في مرتبة أحد الوالدين ، قال تعالى : ﴿ ﴿ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ . . . ﴾ (٥٩) سورة النساء ﴾ ﴾فأولوا الأمر منا هم العلماء والأمراء، فطاعتهم واجبة ، وحق المعلم على المتعلم لا يقل عن حق الوالدين على ولدهما لأن الحاجة إليه أعظم من حاجته لوالديه.

والآن نأتي إلى تلخيص الفوائد المستقاة من هذه الوصية العظيمة.

-1وصية الإنسان بوالديه ، مهما كان جنسه ، ودينه ، فهو مأمور بهذه الوصية ، فلا فرق بين مسلم وكافر إذ لفظ الإنسان يشمل جميع أنواع بني آدم ، وفي هذا إشارة إلى أن جميع الإنسانية مخاطبة بأصول وفروع الشريعة الإسلامية.

– 2الوصية بالإحسان للوالدين والبر بهما ، والصبر عليهما في جميع الأحوال وفي كل حين لأنه مهما أحسنت إليهما فلا يمكن أن تكافأهما على الوجه المرضي إلا أن تجد أحدهما عبدا فتشتريه وتعتقه فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال >> : لايجزي ولد والده ، إلا أن يجده مملوكا،فيشتريه فيعتقه

<<رواه مسلم ك العتق [ح ٢٥- ٢٦] والبخاري في الأدب المفرد[ح ٨.]

قال السندي في شرحه سنن ابن ماجة :[ج٢/ ٣٨٨]: وفي الحديث أن العبد كالهالك ، فكأنه بالإعتاق أخرجه من الهلاك إلى الحياة ، فصار فعله ذلك مما يعدل فعل الأب حيث كان سببا للوجود وإخراجه من العدم إليه .

– 3النهي عن طاعتهما إذا أمرا بشرك أو كفر أو معصية ، وأنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وإنما الطاعة في المعروف ،وهذه قاعدة عامة وليست خاصة بالوالدين لأن قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ { تفيد عدمُ طاعةِ وإتباعِ من لم يُنب ويرجع إلى الله.

-4الشكر للوالدين باعتبار أنهما كانا سببا في وجوده ، والشكر لله تعالى على تلك النعمة ، وهي أنه جعل للعبد والدين كان سببا في وجوده ورعايته إلى أن أصبح إنسانا سويا مكلفا فطُلب بالشكر تكليفا وليس تشريفا.

-5مصاحبتهما في الدنيا بالمعروف وللمعروف ، مالم يجاهداك لتشرك بالله أو

تعصيه ، وقوله تعالى : ﴿ . . فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا . . ﴾ يفيد أن ذلك في جميع دنياك فلا تحرمهما شيئًا منها ، وطول عمرك أيضا فلا تقصر في حقهما في وقت دون آخر . فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء ... >>: وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من دنياك ، فاخرج لهما <<.. ابن ماجه [ح ٤٠٣٤] وصحيح الأدب المفرد [١٤.]

-6عظم حق الوالدين ، وأن الله قرنه بحقه من إفراده بالتوحيد والعبادة..

-7عظم جرم عقوق الوالدين فكما قرن طاعتهما بطاعته وتوحيده ، قرن معصيتهما بمعصيته والشرك به ، فعقوق الوالدين كبيرة وعظيمة من العظائم لمقارنتها بالشرك ، كما أن الإحسان إليهما وطاعتهما في الله من أعظم أعمال البر ، كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود.

-8عدم الأخذ بهذه الوصية من البر بهما يوقع العبد في أكبر كبائر الذنوب ، وهو العقوق .قال عليه الصلاة والسلام >>: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر] ثلاثا [قالوا : بلى : قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين. <<.. متفق عليه.

-9العقوق يحصل بأصغر أمر نهى الله عنه ، وهو لفظة [أف] ويتعاظم كلما ازداد حجم المخالفة التي يكون بها العقوق ، قال بعض السلف لو كان هناك ما هو أصغر من هذه اللفظة [أف] لنهى الله عنه تقديرا وتعظيما لحق الوالدين على الولد .

-10الوصية بالأبناء فهم نعمة يجب المحافظة عليها ، وعدم الإضرار بها ، فلا يكون العباد والدا يعطى حقوقه ، حتى يكون ولدا يعطى حقوقه من الرعاية والربية الصالحة .وصلى اللهم وسلم على عبدك ورسولك محمد.

الوصية الثالثة:

قال الله تعالى على لسان لقمان لابنه وهو يوصيه ﴿ ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. {{

في هذه الاية الكريمة ، مازال لقمان يغرس في ابنه من الوصاية النافعة الجامعة ، لتكون نبراسا يقتدى به ، ويعرفه بأسماء الله تعالى وصفاته – المعبود الحق – الذي

ينبغي أن يراقب في السر والعلن ، وأن يعظم في النفوس ، فتكون الأعمال كلها لله ، وان الله لايخفى عليه شيء منها ، صغيرها وكبيرها ، حسنها وسيئها ،لأنه هو من يحصيها ويأتي بها يوم القيامة ،

وإذا كان لقمان حريصا على ذلك لابنه فإن نبينا عليه الصلاة والسلام جعلها سنة متبعة وموعظة نافعة ، ووصية جامعة ، لأمته ، فقال لابن عباس وهو غلام حدث >>:يا غلام ، إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان المة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء ، لم ينعوك إلا بشيء كتبه الله لك ، وغن اجتمعوا على أن يضروك بشيء ،لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ،رفعت الأقلام ، وجفعت الصحف <<رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وفي رواية غير الترمذي>>: احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم ان ما أخطاك لم يكن ليصبك ، وأما أصابك لم يكن ليحطئك ، واعلم أن أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا .<<أحمد، والحاكم ،

تخريج المشكاة [ح٥٣٠٢] وصحيح الجامع ٧٨٣٤] وقال صحيح.

كلمة جليلة عظيمة ووصية جامعة نافعة ، وهي قمة في التوحيد ،في إفراده بتوحيد الألوهية ، وأنه مهما يكن من شيء نفعا أو ضرا ، غنا وفقرا ، فاستعن بالله في اتخاذ الأسباب ، ومن اعظمها الدعاء فاسأله وحده ، ولاتلتفت لأحد، فإن الله هو الذي كتبه للعبد أو عليه ، وإذا تعلم العبد ذلك وتربي عليه ،وتيقنه ، دفعه لحفظ حدود الله أمرا ونهيا ، وذلك تمامٌ في مراقبة الله بالتعرف إليه في الشدة والرخاء ، في اليسر والعسر ،في الغيب والشهادة ، وهذا هو التعبد لله ، بالأحسان ، فاعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

وفي هذه الوصايا من الفوائد ما سنذكره إن شاء الله بعد أن أذكر أقوال المفسرين في الآية.

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله (المتوفى : ٣١٠هـ)جامع البيان في تأويل القرآن] :ج٢١/ ٧٢ -٧٣ [بعد ما حكى أن في الآية قولين..

وأولى القولين بالصواب عندي، القول الثاني؛ أن الله تعالى ذكره لم يعد عباده أن

يوفيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم، فيقال: إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل يأت الله بها، بل وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالهما . فإذا كان ذلك كذلك، كانت الهاء في قوله):إنَّها (بأن تكون عمادا أشبه منها بأن تكون كناية عن الخطيئة والمعصية. وأما النصب في المثقال، فعلى أن في "تَكُ" مجهولا والرفع فيه على أن الخبر مضمر، كأنه قيل: إن تك في موضع مثقال حبة؛ لأن النكرات تضمر أخبارها، ثم يترجم عن المكان الذي فيه مثقال الحبة.

وعنى بقوله }}:مِثْقالَ حَبَّةٍ : {{زنة حبة. فتأويل الكلام إذن: إن الأمر إن تك زنة حبة من خردل من خير أو شرّ عملته، فتكن في صخرة، أو في السموات، أو في الأرض، يأت بها الله يوم القيامة، حتى يوفيك جزاءه.وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة قوله }}: يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ {{ من خير أو شحدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن ويحيى، قالا ثنا أبو سفيان، عن السدي، عن أبي مالك }}فَتَكُن فِي

صخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ {{ قال: يعلمها الله.

وقوله }}:إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ {{ يقول: إن الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير بموضعها .وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد،عن قَتادة(إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (أي: لطيف باستخراجها، خبير بمستقرّها.

وقال القرطبي : [ج١٤/ ٦٦ -٦٨ [الجامع لأحكام القرآنتحقيق هشام سمير البخاري.

المعنى: وقال لقمان لابنه يا بنّي. وهذا القول من لقمان إنما قصد به إعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى .وهذه الغاية التي أمكنه أن يفهمه، لأن الخردلة يقال: إن الحّس لا يدرك لها ثقلا، إذ لا ترجح ميزانا . أي لو كان للإنسان رزق مثقال حّبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه؛ أي لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن أداء الفرائض، وعن اتباع سبيل من أناب إلّي.

قلت: [أي القرطبي] ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن

مسعود: "لا تكثر همك ما يقدر يكون وما ترزق يأتيك" . وقد نطقت هذه الآية بأن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا؛ سبحانه لا شريك له.

وقيل: المعنى أنه أراد الأعمال، المعاصي والطاعات؛ أي إن تك الحسنة أو الخطيئة مثقال حبة يأت بها الله؛ أي لا تفوت الإنسان المقدر وقوعها منه. وبهذا المعنى يتحصل في الموعظة ترجية وتخويف مضاف . ذلك إلى تبيين قدرة الله تعالى. وفي القول الأول ليس فيه ترجية ولا تخويف.

قوله تعالى }} :فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ {{ قيل: معنى الكلام المبالغة والانتهاء في التفهيم؛ أي أن قدرته تعالى تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السماء والأرض .

قال : أبو الفداء إسماعيل كثير (المتوفى : ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم ، بتحقيق سامي بن محمد سلامة:

وقوله }} :يَأْتِ بِهَا اللَّهُ {{ أي: أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط،

وجازى عليها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. كما قال تعالى }} :وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ] {{ الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى }} :فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ] {{ الزلزلة:٧ ، ٨[ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صَمَّاء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات أو الأرض فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ولهذا قال }} :إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ {{ أي: لطيف العلم، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دَقت ولطفت وتضاءلت } خَبِيرٌ { بدبيب النمل في الليل البهيم.

والظاهر –والله أعلم –أن المراد: أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه.

كما قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لَهِيعة، حدثنا دَراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لو أن أحدكم يعمل في صخرة صَمَّاء، ليس لها باب ولا كوَّة، لخرج

عمله للناس كائنًا ما كان" .قال المحقق :المسند (٢٨/٣) وحسنه الهيثمي في المجمع (٢٢٥/١٠) وفيه ابن لهيعة عن دراج وهما ضعيفان.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي :في كتابه تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (المتوفى : ١٣٧٦هـ]:(ج٤/ ١٠٨.[

}}يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ {{ التي هي أصغر الأشياء وأحقرها، }}فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ {{ أي في وسطها }}أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ {{ في أي جهة من جهاتهما }}يَأْتِ بِهَا اللَّهُ {{ لسعة علمه، وتمام خبرته وكمال قدرته، ولهذا قال }} :إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ {{ أي: لطف في علمه وخبرته، حتى اطلع على البواطن والأسرار، وخفايا القفار والبحار.

والمقصود من هذا، الحث على مراقبة اللّه، والعمل بطاعته، مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قَلَّ أو كَثُرَ .

وقال صديق حسن خان في كتابه فتح البيان في مقاصد القرآن [ج٥/ ٢٥٩] .وقوله }} :فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ{{ فإنها عند كونها في صخرة قد صارت في أخفى مكان

وأحرزه حيث كانت في السموات أو في الأرض ،وفي أخفى مكان منهما يأت بها الله يوم القيامة ويحاسب عليها.

وقوله }} : إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ {{ لطيف باستخراجها لاتخفى عليه خافية ،بل يصل علمه إلى كل خفي ، فهو خبير بمكانها ، وبكل شيء لايغيب عنه ، ومعنى الآية الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها.

الفوائد المستوحاة من الآية الكريمة:

-1تكرار النداء ، ب [يا بني فإنه أبلغ في التربية وقبول نصحية الولد من والده ، لأن ذلك فيه استعطاف ، ورقة ، وشفقة ، وحب ، واستجابة سريعة ، يظهر ذلك في قول الخليل إبراهيم لابنه ...}} : يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى {{..فجاء الجواب من الابن بالسمع والطاعة ، }}قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) {{ سورة الصافات {{..فلو قال له أبوه ، يا ولد ، تعال أذبحك ، ما حصل منه الاستجابة ، ولكن لما استعطفه بنسبته إلى صلبه بالأبوة ، وحبه بالبنوة ، وعلم الابن أنّ ذلك عن أمر الله خضع للأمر ، عن

طواعية لأبيه وبر به فكانت النتيجة ما تعلمون }}وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) {{ سورة الصافات.]

-2وقوله }} : يَا بُنَيَّ إِنَّهَا {{..أي اعلم يقينا أنه مهما يكن من أمر صغير أو كبير جليل أو حقير ، طاعة أو معصية، خير أو شر إن الله يعلمه، ويأت به يوم القيامة فيحاسب عليه ، فيدفعه ذلك إلى توحيد الله ومراقبته في السر والعلن. وتعلم حفظهفي جميع أحواله ، وهكذا قال نبينا عليه الصلاو والسلام >> : اتق الله حيث ما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن . << رواه أحمد ،والبيهقي في الشعب ، و الترمذي وقال حديث حسن وهو كما قال فقد حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم [٩٦.]

– 3ضرب الأمثال التي تقرب الفهم في التعليم والتربية للأبناء والطلاب ، بما يمكن أن يستوعبوه ولا يخرج عن حد الممكن إلى حد المستحيل ، فإن المثقال معروف معهود ، وكذلكم حبة الخردلة . .وإن كانت العقول لاتدرك وزنها..

-4ضرب الأمثال مما يقرب الفهم للطفل والتلميذ لمعرفة سعة علم الله وإحاطته بكل

شيء ، فإذا كان الله لا تغيب عنه وزن ذرة ، ولا حبة خردل مما هو أدق الأشياء فكبيرها من باب أولى في هذا الكون الفسيح ، في سعة السماوات والأرض التي يشاهدها .

-5في الآية تحذير وتذكير ،وموعظة لطيفة ، وتحسيسات مستعطفة للانتباه لما يقوم به الابن أو الطالب من الأعمال ، فإن الله لايخفى عليه من ذلك شيئا ، فلا يستخف بالحسنة والسيئة مهما قلت أو صغرت . فعن انس بن مالك رضي الله عنه قال :

>>إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله من الموبقات <<رواه البخاري [ح٦٤٩٢]وقال : الموبقات المهلكات .

هذا في تحقير الذنوب ، أما في الحسنات فقد قال صلى الله عليه وسلم

>>:لايحقرن أحدكم شيئا من المعروف <<..الترمذي ، وهو في صحيح الجامع برقم : [٧٥١٠]

– 6تعليم الطفل والتلميذ أسماء الله تعالى وتربيتهما على ذلك ، وحثهما على التعبد لله بأسمائه وصفاته ، بمراقبته ، فإنه لطيف خبير ،وهو بكل شيء محيط

وإذا كان كذلك فهو على كل شيء قدير.

-7عدم غياب المثقال من حبة الخردل عليه يدل على سعة علم الله وإحاطته بكل شيء ، وسعة سماواته وأراضيه يدل على سعة علمه وقدرته ، وذلك يدل على خبرته بما يجري عليهما وفي باطنهما، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم .والحمد لله رب العالمين.

كتبه ابو بكر يوسف لعويسي